

## النظريات اللغوية والنفسية والتربوية الحديثة

### في برامج تعليم العربية للناطقين بغيرها

(العربية بين يديك أنموذجاً)

د. عبد النور محمد الماحي محمد<sup>1</sup>

#### مقدمة:

كنا نطالع في كتب تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها، على قِلتها، قبل سنواتٍ خلت، أن حقلها ما زال في حاجةٍ ماسّةٍ إلى تجارب وبحوثٍ، وكتبٍ ومؤلفاتٍ، ومخطيءٍ من يقول أو يدّعي أن هناك منهجاً، أو كتاباً أو طريقةً تغني في هذا الميدان، كما أنه ثمة أسس تمّ الاتفاق عليها في الآونة الأخيرة، وهي أن التعويل على استخدام أساليب ومناهج العربية لأبنائها، والأسلوب التقليدي في ميدان تعليم العربية للناطقين بغيرها، أثبتنا فشلاً جعل أغلب الدارسين يعزفون عن تعلمها، والاستزادة منها.

كما لم يعد تعليم اللغة الأجنبية يقتصر على استعمالها في المحيط الضيق للطالب، أو يتوقف تعليمها على عدد الساعات التي يدرسها الطالب، كما لا يتوقّف على كمّ الدروس التي يتلقنها، أو عدد الصفحات التي يقرؤها،

<sup>1</sup> - أستاذ اللغويات المشارك، بكلية التربية، جامعة الملك عبد العزيز.

أو المفردات التي يستظهرها، لم يعد تعليم اللغة الأجنبية ذلك فحسب، بل إنَّ تعليمها، يعتمد بالإضافة لأهميَّة ما سبق، على مدى ما يحققه الطالب من تحصيلٍ في الكفايات (اللغويَّة، والثقافيَّة، والاتصاليَّة)، ومدى قدرته على استعمال اللغة اتصاليًّا مع أهلها، بنفس كفاءتهم، وبذات كفاياتهم، وهذه هي النظرية الحديثة في تعليم اللغات الأجنبية.

ومن ثمَّ فقد لوحظ ما حققته الأساليب والمناهج الحديثة في تعليم اللغة الأجنبية من نجاح ملموس، بصورة عامة، وفي اللغة العربيَّة بخاصة في مراكز تعليمها في الخارج، كما استفادت برامج تعليم العربية لغير الناطقين بها من هذه المناهج والأساليب الحديثة، والآن نحن بحاجة إلى تقويم الدور الذي تؤديه هذه النظريات في هذه البرامج.\*

ذلك أن تعليم أيَّة لغة يجب أن يستند إلى نظرية لغويَّة، وأخرى نفسيَّة، وثالثة تربويَّة، حتى يحقق التعليم النتائج الطيبة المرجوة منه، وقد وُجدت في ميدان تعليم اللغات الأجنبية نظريات لغويَّة ونفسية وتربويَّة، وقد تأزرت هذه النظريات في تعليم اللغات وتعلُّمها، لأهلها ولغيرهم. أمَّا مناهج تعليم اللغة العربيَّة للناطقين بغيرها، فقد تأثرت منذ نشأتها بمناهج تعليم اللغات الأجنبية، خاصة اللغة الإنجليزيَّة، من حيث إعداد المواد، وطرائق التدريس، وأساليب التقويم.

يجيء هذا البحث بعنوان: النظريات اللغويَّة والنفسية والتربويَّة الحديثة في برامج تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها، دراسة تطبيقية على برنامج (العربية بين يديك)، مساهمةً منه في التعريف بهذه البرامج، ومدى

ارتباطها ببرامج تعليم اللغات الأجنبية عالمياً. ويجيء في إطارين اثنين؛ الأول: إطار نظري، يعرض إلى تعريف بمشكلة البحث، وأهدافه، ومصطلحاته، وتعريف بالأسس اللغوية، والأسس النفسية، والأسس التربوية، لتعليم اللغات الأجنبية، مشيرين إلى مبادئها، وما أخذها، باختصار شديد.

ولما كانت هذه الأسس كثيرة متداخلة سنكتفي بالتعريف بأهمها؛ ففي الأسس اللغوية، نتعرف النظرية البنوية، والنظرية التوليدية التحويلية، بالإضافة للنظرية الاجتماعية، والمدخل الاتصالي.

وأما الإطار الثاني فهو تطبيقي يُعنى بتوضيح أثر هذه النظريات والطرائق على برنامج (العربية بين يديك)، مستشهدين لكل منها بأهم المبادئ والملاحق المتبديّة في البرنامج.

ويرجى أن يخرج البحث بنتائج مفيدة من هذه الدراسة.

#### مشكلة البحث:

يلاحظ الباحث المهتم بتعليم اللغة العربية، بصورة عامة، وتعليم العربية للناطقين بغيرها، مدى استفادة برامج تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها من نظريات علم اللغة الحديث المختلفة، لاسيما النظريات اللغوية، الوصفية، والبنوية والتوليدية التحويلية، وتحليل الخطاب، والتداولية، بالإضافة إلى النظريات النفسية، مثل النظرية السلوكية، والنظرية المعرفية، والنظريات الاجتماعية، مثل نظريات السياق لـ (فيرث) Firth، والنظرية الاجتماعية (مالينوفسكي)، وقد عُنيت هذه النظريات بدراسة قضايا عديدة

منها: التنوع اللغوي، واللهجات، والسياق، وعلاقة اللغة بالثقافة، ومجالات تطبيقها. أما فيما يخص النظريات التربوية، فقد ساهمت في إعداد موادها، وتأليف مناهجها، من حيث اختيار محتواها اللغوي، والثقافي، وتحديد أهدافها، وطرائق تدريسها، وأساليب تقويمها. والسؤال الرئيس الذي يتبادر إلى الذهن يتمحور في مدى شيوع هذه النظريات في برامج تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها، وتتفرع منه أسئلة هي:

- ما مدى الاستفادة من النظريات اللغوية الحديثة في برامج تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها؟
- ما النظريات اللغوية والنفسية والتربوية الحديثة الأكثر شيوعاً في هذه البرامج؟
- كيف تمّ مراعاة خصوصية اللغة العربية لتتواءم مع النظريات اللغوية والتربوية الحديثة؟

#### أهداف البحث:

ويجيء هذا البحث وفقاً لعنوانه بهدف الكشف عن مبادئ هذه النظريات مجتمعةً في برامج تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها، متخذين من مشروع برنامج تعليم (العربية بين يديك) أنموذجاً للتطبيق، لاسيما وأنّ تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها قد شهد تطوراً كبيراً، في كلا جانبيه النظري والتطبيقي.

#### مصطلحات البحث:

من أهمّ المصطلحات المستخدمة في هذا البحث: البرنامج، المدخل،

الطريقة، الإجراء.

أسس تعليم اللغة الأجنبية:

معلوم أنّ تعليم اللغة بصورة عامة يعتمد على أسس أهمها:

• الأسس النفسية، وتعتمد، غالباً، على النظريتين، السلوكية  
Behaviorism Theory والمعرفية Cognitive Theory .

• الأسس اللغوية التي تمثلها النظريات اللغوية؛ مثل: النظرية  
البنوية Structural Theory ، والنظرية التوليدية التحويلية The  
Generative Transformation Theory ، والنظرية الاجتماعية The  
Social Theory .

• الأسس التربوية وتمثلها الطرائق التدريسية؛ طريقة القواعد  
والترجمة Translation Method & Grammatical ، والطريقة  
المباشرة Direct Method ، وطريقة القراءة Reading Method ،  
والطريقة السمعية الشفوية Audi-Lingual Method ، والطريقة  
التواصلية The Communicative Method ، والطريقة الصامتة The  
Silent Way ، والطريقة الإيحائية Suggestopedia Method ، والطريقة  
الطبيعية Natural Method .

الدراسات السابقة:

من الدراسات السابقة ذات الصلة بهذه الدراسة هناك دراستان:

**الدراسة الأولى:** كتاب: (النظريات اللغوية والنفسية وتعليم اللغة العربية)، للدكتور/ عبد العزيز إبراهيم العصيلي، الرياض، مطابع الأوفست، ١٤٢٠، حيث جاء في ثلاثة فصول؛ الأول: عن الاتجاه السلوكي البنوي، وتعليم اللغة الأجنبية، والثاني عن النظريات المعرفية العقلانية وتعليم اللغة الأجنبية، أما الفصل الثالث فقد كان عن طرائق تدريس اللغات وتعليم اللغة العربية، وقدّم في ختام الكتاب حلول مقترحة حول تعليم العربية للناطقين بغيرها.

**الدراسة الثانية:** كتاب: (تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها في ضوء المناهج الحديثة)، للدكتور/ مختار الطاهر حسين، الدار العالمية للتوزيع، مصر، ٢٠١١م. وقد جاء في أربعة فصول؛ الأول: علم اللغة وتعليم اللغة، الفصل الثاني: المناهج اللغوية في تعليم اللغة، الفصل الثالث: المناهج الاتصالية في تعليم اللغة، الفصل الثالث: التدريبات اللغوية الحديثة ودورها في تعليم اللغة.

**الدراسة الثالثة:** الفصل الأول من كتاب الأستاذ الدكتور/ عمر الصديق عبد الله، بعنوان: الأسس النفسية واللغوية والتربوية لتعليم اللغات، من كتاب تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها، الطرق - الأساليب - الوسائل، الدار العالمية، القاهرة، ٢٠٠٨م.

#### تعليق عام على الدراسات السابقة:

- وجه الاختلاف بين هذه الدراسة والدراستين السابقتين أنّها حاولت أن تجمع بين الجانبين النظري، والتطبيقي، حيث اجتهدت في تتبع النظريات اللغوية والنفسية في نموذج من برامج تعليم اللغة العربية القائمة بالفعل، هو (برنامج تعليم العربية للجميع، العربية بين يديك) بينما لم تطبق أي من الدراسات السابقة على برنامج معين في تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها، بل جاءت الإشارة إلى

النماذج، والتمثيل فيها عامة، على برامج أقدم من برنامج العربية بين يديك.

### النظريات والمناهج اللغوية والتربوية في تعليم اللغات الأجنبية:

معلوم أنّ تعليم اللغات الأجنبية، يُعدُّ فرعاً من فروع علم اللغة التطبيقي (The Applied Linguistics) الذي يستمدُّ منهجه من أربعة مصادرٍ أساسيةٍ، هي: علم اللغة النظري، وعلم اللغة النفسي، وعلم اللغة الاجتماعي، وعلوم التربية.

ومع أنّ تطبيق النظريات اللغوية في ميادين تعليم اللغات الأجنبية يكون بطريقة غير مباشرة، في الغالب، إلا أنّ لكلّ من هذه المصادر مهامّاً معينة، يضطلعُ بها في هذا الإطار، فعلمُ اللُّغَةِ النَّظْرِيّ، مهمتهُ تقديم وصفٍ علميٍّ للغة، وفق منهجٍ استقرائيٍّ واستنباطيٍّ، كما يُسهمُ في الإجابة على مجموعةٍ من الأسئلة، من قبيل: ماذا ندرس من اللغة الأجنبية؟ ما الأنماط المناسبة في حالة الترجمة؟ ما المفردات التي يجب أن يتضمَّنَها المعجمُ؟

أما علمُ اللُّغَةِ النَّفْسِيّ فيضطلعُ بدراسةِ الظاهرة اللغوية من الواجهة النفسية بوصفها ظاهرةً سلوكيةً إدراكيةً، ويهتمُّ بدراسةِ السلوك اللغوي عند الفرد من حيثُ الاكتسابُ والأداء، وتتجاوز ذلك حين تعرض للبحث في العمليات النفسية التي تصحب الفهم والإفهام، أي إنتاج اللغة واستقبالها.

أما علمُ اللُّغَةِ الاجْتِمَاعِيّ، فيتناول اللغة بوصفها ظاهرةً اجتماعيةً عامةً تهدف إلى تحقيق التواصل الاجتماعي بين أفراد المجتمع اللغوي الواحد.

وتتكفل علوم التربية بالإجابة عن أسئلةٍ مثل: كيف نعلم؟، كيف نختار الطريقة المناسبة في التعليم؟ والإجابة تشير إلى الأساليب المتبعة في تعليم اللغات، وفي المجالات الأخرى.

في هذا البحث نعرض في عجالةٍ للمُخصِّ لأهمِّ الأسس اللغوية والنفسية والتربوية، وخير ما يمثل الأسس اللغوية ثلاث نظريات: النظرية البنوية، (The Structure Theory) ورائدها دي سوسير، (DE Susser) والنظرية التوليدية التحويلية، (The Generative Transformational Theory) ورائدها تشومسكي، (Chomsky) والنظرية الاجتماعية، أو نظرية السياق، (The Social Theory Context) ورائدها (فيرث Firth)، أما الأسس النفسية فتتمثل في نظريتين؛ الأولى: النظرية السلوكية، (The Behavior Theory)، التي تعتمد على النظرية البنوية في مسألة التعلم، وخاصة تعلم اللغة الأجنبية، فتنتج النظرية (السلوكية / البنوية)، ثم النظرية المعرفية، التي تعتمد على النظرية التوليدية التحويلية في تعلم اللغات، وخاصة اللغة الأجنبية، وتنتج النظرية المعرفية/ العقلانية، أما الأسس التربوية، فتتمثل في مجموعة كبيرة من طرائق التدريس، ولكن أهمها، في تقديرنا، في تعليم اللغات، طريقة القواعد والترجمة، والطريقة المباشرة، والطريقة السمعية الشفهية.

هذه هي أهم القضايا التي تمثل لبّ موضوعنا، ومن ثم نشير لما اشتملت عليه بعض برامج تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها، محللين الجوانب التي لها ارتباطٌ بهذه القضايا، آنفة الذكر، ومقارنين لها بما له علاقةٌ بها في مجال



تعليم اللغات الأجنبية، آملين أن تثمر عن نتائج، تفيد في إعداد برامج تعليم العربية للناطقين بغيرها مستقبلاً.

**أولاً: الأسس اللغوية:**

**أولاً: النظرية البنوية (The Structure Theory)**

امتازت الدراسة اللغوية في القرن التاسع عشر بغلبة اتجاهين اثنين:

الأول: الاتجاه المعياري.

الثاني: الاتجاه المقارن.

وقد دار جدل واسع، وطرحت أسئلة حول تصنيف اللغات، وبقيت هذه الأسئلة حائرة دون إجابة في تلك الفترة، ويعود الفضل في الإجابة عن هذه الأسئلة إلى العالم السويسري، (فرديناند دي سوسير ١٨٥٧ - ١٩١٣م).

**أهم مبادئ دي سوسير :**

ألقى دي سوسير بعدد من المبادئ المهمة في دراسة اللغة، من أهمها ثلاثة أفكار هي:

الفكرة الأولى: تفريقه بين الدرسين التاريخي التعاقبي (الدياكروني diachronic) والدرس الوصفي التزامني (السنكروني synchronic). الفكرة الثانية : التفرقة التام بين اللغة La Langue، وبين الكلام La parole. الفكرة الثالثة: الدراسة الوصفية والدراسة المعيارية.

**أتباع دي سوسير :**

كان فكر دي سوسير قد شكّل نقلة نوعيّة في التفكير اللغوي في العالم آنذاك، وقد انحصرت اللسانيات في اتجاهين؛ وهما اللسانيات الأوروبية واللسانيات الأمريكية، وأشهر أعلام اللسانيات الأوروبية: جاكسون، وأ. مارتيني، كوجنهايم، بنفست، تنيير، كيوم وبوتيه، هلمسليف، أما أشهر أعلام اللسانيات الأمريكية: F.Boas، و Sapir، و Bloomfield، بلومفيلد.

### النظرية التوليدية التحويلية:

#### (The Generative Transformational Method)

تغيّر اتجاه (علم اللغة)، من المنهج الوصفي المحض إلى منهج آخر جديد، يعرف الآن بالمنهج التوليدي التحويلي، ويمثل هذا المنهج ثورةً لأنّه قوّض الدعائم التي يقوم عليها علم اللغة الحديث، وأقام بناءً آخر يختلف في أصوله لاختلاف نظرتة إلى طبيعة اللغة.

#### النظرية اللغوية عند تشومسكي وأهدافها:

- التزم بالمنهج العقلي، الذي يعتبر اللغة تنظيمًا عقلياً فريداً من نوعه، تستمد حقيقتها من أنها أداة التعبير والتفكير الإنساني.
- إنّ هناك جانبين لا مناص من الاهتمام بهما معاً لفهم اللغة الإنسانيّة، هما:

الأداء performance، وهو يمثل ما ينطقه الإنسان فعلاً، ويمثل من ثمّ (البنية السطحية) surface structure للكلام الإنساني، وهذه البنية تقدّم التفسير الصوتي للغة.

أما الجانب الآخر فهو: الكفاءة competence، وهي التي تمثل (البنية العميقة) deep structure للكلام. وهي التي يتعلّق المعنى الحقيقي المقصود من الكلام، وبذا فهي تقدّم التفسير الدلالي للغة.

### النظرية الاجتماعية (فيرث):

نشأ الجانب الاجتماعي للغة في أوروبا والولايات المتحدة على حدّ سواء، ففي أوروبا كان رائد هذه المدرسة هو اللغوي الإنجليزي، فيرث Firth، (١٨٤٥م- ١٩٦٠م) الذي شغل كرسي علم اللغة في جامعة لندن من (٤٤- ١٩٥٧م)، وهو من أوائل من جعلوا اللغويات الحقيقية دراسةً علميةً متميّزةً ومُعترف بها في بريطانيا. ومن أهم مبادئه ما يلي:

- اللغة ظاهرة اجتماعية، لا يمكن فهمها أو تحليلها إلا على هذا الأساس.
- جعل السياق أو (المسرح اللغوي) أساس نظريته في التحليل اللغوي،
- ومن عناصر السياق: المتكلم، السامع/ السامعون/ جملة الحضور والأشياء الموجودة بالموقع، الزمان والمكان، الكلام نفسه.
- أنكر ثنائية (دي سوسير) في تفريقه بين اللغة والكلام.
- ينهج المنهج الوصفي، ويطبقه في أعماله اللغوية تطبيقاً حاسماً.
- لا ينكر أن علم اللغة أنظمة متعددة، أو فروع، ولكن هذه الفروع متكاملة لا يمكن فصل بعضها عن بعض، فصلاً تاماً.

• المعنى اللغوي عند (فيرث) هو حصيلة العمل اللغوي

كله بلا استثناء.

الأسس النفسية: نظريات تعليم اللغات الأجنبية:

أولاً: النظرية السلوكية:

من أبرز النظريات النفسية التي عالجت قضايا تعلم اللغة وتعليمها نظريتان؛ إحداهما النظرية السلوكية، والأخرى النظرية المعرفية أو العقلانية، ونبدأ بالحديث عن النظرية الأولى: النظرية السلوكية:

لقد أسهمت النظرية التوليدية التحويلية في نشأة علم اللغة النفسي، في أواخر الستينيات من القرن العشرين.

أما عن النظرية السلوكية ودورها في تعليم اللغة، فتعدُّ بحق من أشهر نظريات علم النفس في العصر الحديث، وقد برزت للوجود في مطلع القرن العشرين، وازدهرت في أثناء الحرب العالمية الأولى، وبلغت أوجها بعد الحرب العالمية الثانية.

ومن أقطاب هذه النظرية العالم الروسي بافلوف (١٨٤٩ - ١٩٣٦)، وجون ب. واطسون (١٨٧٨ - ١٩٥٨)، وإدوارد ثورنديك (١٨٧٤ - ١٩٤٩)، وب. ف. سكنر.

أهم مبادئ النظرية السلوكية:

استخلص أصحاب هذه النظرية السلوكية مجموعة من القوانين

والمبادئ، أهمها:

قوانين الارتباط الشرطي، وقوانين التكرار، وقانون انتقال الأثر، وقانون انطفاء الأثر الشرطي، وقانون أثر التعليم أو التدريب. وقد طبقت هذه القوانين في مجال التعلم الإنساني، في المدرسة والمجتمع، وظهر أثرها في المناهج المدرسية، من حيث المحتوى والطريقة، ثم انعكست على تقويم التحصيل المدرسي، وتقويم جوانب الشخصية المختلفة.

أما أهم مبادئها فهي:

- التعلم بناء لعادة جديدة.
- يتحقق التعلم عن طريق المثير والاستجابة.
- يقوم التعزيز بدور رئيس في عملية التعلم.
- التكرار يؤدي إلى إتقان التعلم.
- تؤثر البيئة في عملية التعلم تأثيراً قوياً.
- يتم أثر انتقال التعلم من موقف إلى موقف جديد.
- للتدريب أهمية كبرى عند السلوكيين.

تأثير النظرية السلوكية في تعليم اللغة الأجنبية:

وعلى العموم فإنّ المبادئ التي نادى بها السلوكيون هي ذاتها المبادئ التي عوّثوا عليها في عملية التعلّم بصورة عامة، والتي ذكرناها آنفاً، بالإضافة إلى:

- المدخل الصحيح لتعلّم اللغة هو الذي يقوم على الكلام لا الكتابة.
- يجب أن يقوم المتعلّم بدورٍ إيجابي في عملية التعلّم
- التعلّم محكوم بالمواقف التي يجري فيها.
- الاختلافات التي تحدث بين المتعلّمين في مستوى العلم وسرعته يفسّر بالخبرات السابقة التي اكتسبها.
- عدم صرف جهد كبير في تدريس قواعد اللغة.
- المحاكاة عنصر مهمّ في تعليم اللغة وتعلّمها.
- تلي مرحلة المحاكاة للنماذج اللغوية مرحلة التدريبات التي يجب أن تكون جيدة الإعداد محكمة التصميم بحيث تستدعي الاستجابة المطلوبة وحدها.
- ليس الهدف من التدريبات اللغوية اختبار معلومات المتعلّم، والحكم على استجابته بالصواب والخطأ، بل الهدف منها أن تساعد على السيطرة على أبنية اللغة وأنماطها المختلفة.
- للاختبارات اللغوية أهمية كبرى في تعليم اللغة.

- يحدث الخطأ في أثناء التعليم إما لأن المتعلم لم يسمع النموذج جيداً، أو لأنه خطأ القياس.
- المعنى عند السلوكيين هو العلاقة بين المثير والاستجابة، أو الاستجابة المطابقة للمثير. (وهو أضعف نقطة في نظريتهم، لأنّ المعنى ليس له مظهر خارجي يمكن النظر فيه بالنهج العلمي الموضوعي المستخدم في العلوم الطبيعية).

#### من أهم مآخذ النظرية السلوكية:

- الاهتمام بالجانب السطحي.
- إهمال جانب الاتصال، والاهتمام بالجانب الشكلي في عملية تعلم اللغة.
- تعليم اللغة عبارة عن عادة، في حين أن التعليم ليس مجرد اكتساب عادة جديدة فقط، وإنما الأمر أكثر تعقيداً من ذلك بكثير.

#### النظرية العقلية المعرفية:

لقد تأثرت هذه النظرية بأراء تشومسكي اللغوية، وخاصةً دور العقل في اكتساب اللغة، ومن ثم فقد ركزت هذه النظرية اهتمامها الأول على

سيكولوجية التفكير، ومشاكل المعرفة بصورة عامة، وحل المشكلات، والإدراك والشخصية، والجوانب الاجتماعية في التعلم.

### أهم مبادئ النظرية المعرفية:

- يكتسب الإنسان اللغة، لا لأنّ هناك مثيراً يدفعه إلى ذلك، ولا لأنّه محاط بموقف يتطلب منه استجابة لغوية، بل يكتسب اللغة لأنّه مزوّد بمقدرة capacity هي التي تساعد على اكتساب اللغة أو تعلّمها.
- يرى أصحاب هذه النظرية أن السبب في اختلاف مستوى التعلّم بين الأفراد إنما يرجع إلى المقدرة اللغوية.
- ليست اللغة مجرد شكل من أشكال السلوك السطحي، بل هي أمرٌ أكثر تعقيداً من ذلك.
- يرى أصحاب هذه النظرية أن الطفل يمتلك منذ ولادته افتراضاتٍ عن أبنية اللغة وأنماطها.
- كما أنّهم يرون أنّ الطفل يولد مزوّد بأداة تسمى بأداة اكتساب اللغة (LAD) Language Acquisition Device
- كما يرون أن الخطأ عنصرٌ مهمٌّ في عملية التعلّم، وهو مؤشّر على أنّ العملية التعليمية، تأخذ مسارها الصحيح.
- لا يرى المعرفيون أهميةً للترديد والتعزيز في عملية التعلّم.



• يرتبط التعلّم عند المعرفيين بالقدرات العقلية والمعرفية للمتعلم.

• لا دور للمحاكاة ولا التقليد في اكتساب اللغة، كما يزعم السلوكيون.

### تأثير النظرية المعرفية في تعليم اللغات الأجنبية:

تشكك تشومسكي في مدى إمكانية استخدام القواعد التي توصل إليها هو وأنصاره لتعليم اللغات أصلية كانت أم أجنبية، ومع هذا إلا أنه ثمة آراء عند المعرفيين وجدت طريقها إلى مجال تعليم اللغات الأجنبية، أهمها:

- تعلّم اللغة عبارة عن حل لمشكلة.
- النمط الذي يلخص كل المعرفة يجب أن يساعد المدارس على معرفة الطريقة التي تعمل بها اللغة.
- دراسة اللغة تعني دراسة تفاعل الكلمات مع السياق، إذ إنّ معنى الكلمات مجتمعةً أو منفردةً لا تعطي جميع أبعاد المعنى، مما يتطلب النظر في السياق، الذي تستخدم فيه تلك الكلمات.
- يتم اختيار العناصر اللغوية على أساس المنفعة، والشروع.

- يتحقق التعمق في اللغة بالتصميم الجيد للمادة، والتدرّج.

### المآخذ على النظرية المعرفية:

قدم كثيرٌ من الباحثين ملاحظاتٍ سالبةً عن النظرية المعرفية، ارتكزت على اهتمامها بفرضيات تدور حول عمليات عقلية مجردة، وليس حول حقائق الأداء المادي، الذي هو مجال علم اللغة التدريسي.

### الأسس التربوية:

### طرائق تدريس اللغات الأجنبية: Foreign Language Methods

وبعد استعراضنا للأسس اللغوية والنفسية، نتناول الأسس التربوية، المتمثلة في الطرائق التدريسية، وقد ظهرت في تاريخ تعليم اللغات الأجنبية طرائق عديدة، كان لكل طريقةٍ منها وزنها وتأثيرها، ودورها في تيسير تعليم اللغة، وتمكين الدارس من تعلمها، ويرجع السبب في كثرة طرائق التدريس وتوافرها إلى تطور الخبرة الإنسانية، كما أنّ هذه النظريات تعتمد على جوانب نفسية ولغوية واجتماعية، وهذه المكونات غير ثابتة، بل في تغير مستمر. ولذا فسنعرض لأهمها في تعليم اللغة الأجنبية، ونبدأ أولاً بطريقة القواعد والترجمة:

### أولاً: طريقة القواعد والترجمة:

مما يلاحظ على طريقة القواعد والترجمة غياب الأسس النفسية واللغوية والاجتماعية عن مبادئها الأساسية.

### مبادئ قواعد القواعد والترجمة:

تتلخّص أهم مبادئ طريقة القواعد والترجمة فيما يلي:

- الاعتقاد بأنّ اللغة هي الكلمات.
- الادعاء أنّ كلّ اللغات تصورات ومفاهيم متطابقة.
- القول بأنّ قواعد اللغة عالميّة Universal.
- استخدام أنشطة تعليميّة في غرفة الدراسة.

من أهم مآخذ طريقة القواعد والترجمة:

أخذت على طريقة القواعد والترجمة مآخذ كثيرة، أهمها:

- جوهرها أنّها لا تقوم على نظريّة لغويّة أو نفسيّة، أو اجتماعيّة أو تربويّة، إنّما هي مجرد تراكم لخبرات كثيرة تعتمد التجربة الشخصية وحدها.
- كما أنّها اهتمت بالجانب الكتابي على حساب الجانب المنطوق الاتصالي.
- كما أنّ تدريس القواعد في هذه النظريّة يتمّ بالأسلوب الاستقرائي، وتهمل الأسلوب الاستنتاجي، ومعلوم أنّ القواعد بعضها يصلح بأسلوب لا يصلح به بعضها الآخر.

ثانياً: الطريقة المباشرة:

التفتت الطريقة المباشرة إلى الجانب الصوتي وأخذت تركز بشكل أكبر على الممارسة الشفهية والنطق الصحيح، واعتبرت هذا الجانب هو المدخل الصحيح والمنطقي لتعليم وتعلم اللغة الأجنبية.

#### من مبادئ الطريقة المباشرة:

- إعطاء عناية كبيرة للنطق خاصة، الشهور الأولى.
- تقديم النصوص ومناقشتها شفويًا، قبل قراءتها.
- الابتعاد عن استخدام اللغة الأم، من قبل المعلم، أو المتعلم، قدر الإمكان.
- تدريس النحو على أساس وظيفي في المواقف الشفوية.

#### من أهم مآخذ على الطريقة المباشرة:

- بتقويم الطريقة المباشرة تبين أنه ثمة بعض المآخذ التي أخذت عليها، منها:
- لا تراعي الفروق الفردية بين المتعلمين.
  - لا تسمح بتكوين قدرة على الإمام بثروة لفظية واسعة.

#### الطريقة السمعية الشفهية: The Audio-lingual Method

انبثق المدخل السمعي الشفهي من الاتجاه السلوكي البنيوي في النظرة إلى اللغة وأساليب تحليلها وتعلمها وتعليمها، وقد تمثل هذا المدخل في الطريقة السمعية الشفهية The Audio-lingual Method، التي تنظر إلى تعلم اللغة على

أنّه اكتساب لعادات سلوكية، يتم من خلال التقليد والمحاكاة، ويعتمد على المشير والاستجابة والتعزيز، وقد ركزت هذه الطريقة في برامجها على الحديث الشفهي، فقدمت مهارتي الاستماع والكلام، وأخرت مهارتي القراءة والكتابة، كما اهتمت كثيرا بتدريبات الأنماط Pattern Drills، وخصصت جزءاً كبيراً من الدروس لهذا الجانب. وأول ما ظهرت في الولايات المتحدة، وكانت إرهاباتها في ما سمي بطريقة الجيش، وقد أدت عدة عوامل إلى ظهور هذه الطريقة، من أهمها:

- أعمال علماء اللغة البنيويين، والأنثروبولوجيين، ونظريات علم النفس السلوكي، وقيام الدراسات التقابلية وتطور الآلات التعليمية.
- ومن أهم مبادئ هذه النظرية:
- اللغة ظاهرة شفوية منطوقة لا مكتوبة.
- تختلف اللغات فيما بينها، فلكل لغة نظام فريد متكامل للتعبير عن أيّة فكرة.
- التأكيد على التحليل التقابلي بين اللغتين؛ الأم والهدف، وتحليل الأخطاء، ثم إعداد المواد التعليمية بناء على ذلك.
- اللغة عادة سلوكية تكتسب بنفس الأساليب التي يتم فيها اكتساب العادات السلوكية الأخرى، ويتم هذا من خلال المحاكاة والتقليد والتكرار والتعزيز لعناصر اللغة وأنماطها.
- التدرج في تقديم عناصر اللغة وأنماطها ومهاراتها؛ حيث يقدم المعلوم على المجهول والبسيط على المعقد، والسهل على الصعب، وتبنى الكتب والمقررات بعضها على بعض بناءً هرمياً متدرجاً.
- تحتل تدريبات الأنماط بأنواعها، من تكرار وتحويل وتبديل وإكمال فراغات وإجابة عن أسئلة، وغيرها من التدريبات.
- كما دعت هذه الطريقة إلى التقليل من العناية بالنحو النظري.

### مأخذ على الطريقة السمعية الشفهية:

- اهتمامها بالبناء السطحي للغة، وإهمالها لأهداف الدارسين وحاجاتهم، ولا تستعين بخبراته، وتتبع الأساليب الآلية في التعلم. كما انتاب الضعف أسسها اللغوية، والنفسية؛ (نظرية علم اللغة البنيوي، وعلم النفس السلوكي).

### المناهج الاتصالية (الوظيفية) في تعليم اللغة:

كانت المناهج الاتصالية ثمرةً من ثمار علم اللغة الاجتماعي، ورائده في أوروبا هو اللغوي البريطاني ج. فيرث J.Firth (١٨٩٠ - ١٩٦٠م)، وجاء بعده العالم الانثروبولوجي (ديل هايمز)، Dell Hymes (١٩٢٧ - ٢٠٠٩م)، وقد ترسّم خطى فيرث في علم اللغة الاجتماعي، وأنشأ ما يسمى بعلم اللغة الانثروبولوجي، وهاجم أصحاب النظرية.

وجدير بالذكر أنّ علم اللغة الاجتماعي يضطلع بدراسة قضايا كثيرة، أهمها: الخطاب ومستوياته Discourse، واللهجات Dialects، والعلاقة بين المرسل والمتلقي في عمليات الاتصال Communication process، والاستعمال اللغوي، Language Uses، والعوامل غير اللغوية التي تؤثر في ذلك.

ومن خصائص الكفاية الاتصالية أنّها نسبية وليست مطلقة، كما أنّها مفهوم عام تندرج تحته مجموعة من الكفايات، حيث يميّز بعض الباحثين بين أربعة أنواع منها، هي:

الأول: الكفاية النحوية Grammatical Competence، الثاني: كفاية الخطاب Discourse Competence، الثالث: الكفاية اللغوية الاجتماعية Sociolinguistic Competence، الرابع: الكفاية الإستراتيجية Strategic Competence.

أسفر البحث في الكفاية الاتصالية عن تبلور مجموعة من الاتجاهات والآراء المعرفية، التي ظهرت في صورة مدخل اتصالي Communicative Approach، أُطلقَ عليه تجاوزاً الطريقة الاتصالية أو التواصلية The Communicative Method، وقد أُلِّفَتْ فيه الكتب، وصُمِّمَتْ في ضوءه مناهج خاصة حملت اسمه.

#### المبادئ التي يقوم عليها المدخل الاتصالي:

- بناء الكفاية الاتصالية، بمستوياتها الأربعة.
- اختيار محتوى المادة اللغوية، ثم ترتيبها وتقديمها على أساس وظيفي، لا على أساس لغوي شكلي، أو نمطي.
- الاهتمام بالقواعد الوظيفية، باعتبارها الهيكل العظمي للغة، وتقديمها للدارسين بأسلوب مباشر أحياناً، وغير مباشر أحياناً أخرى، حسب الحاجة.
- تعلّم اللغة عن طريق المواقف الحقيقية للغة، بأسلوب طبيعي وحيّ.

- الاهتمام بالتعليم الجماعي، وكذلك التعلّم التعاوني، وذلك من خلال تقسيم حجرة الدراسة إلى مجموعات تتنافس فيما بينها في حلّ مشكلةٍ أو مناقشة قضيةٍ.

وقد تفرّع عن المدخل الاتصالي، مجموعة من الطرائق، منها: الصامتة Silent Way، والطريقة الطبيعية Natural Method، وغيرها.

### برامج تعليم اللغة العربيّة في ضوء النظريات اللغويّة الحديثة

أولاً: النتائج العمليّة للنظريّات اللغويّة الحديثة في تعليم اللغات بعامة:

مع كثرة الحقائق التي توصل إليها علم اللغة الحديث، التي ذكرناها آنفاً إلا أنّ كثيراً منها، لم يجد طريقه إلى التوظيف في مجال تعليم اللغة، ومع هذا فقد أمكن توظيف بعض هذه الحقائق في هذا المجال، وخاصة الحقائق التي لها ارتباط مباشر بتعليم اللغة، ومنها:

- التفريق بين اللغة والكلام.
- اللغات مختلفة.
- اللغات متطورة.
- اللغات منتظمة.

ثانياً: تطبيقات النظريّة اللغويّة في برامج تعليم اللغة العربيّة للناطقين بغيرها:

سبق أن أوضحنا أنّ تطبيق النظريّات اللغويّة في ميدان تعليم اللغات الأجنبية يتمُّ بطريقةٍ غير مباشرةٍ في الأعمّ الغالب، وهذا ما يمكن ملاحظته على



تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها، ويمكن أن نستقريء ذلك في عددٍ من المكونات الأساسية لبرامج تعليم اللغة العربية، ومنها:

- أهداف تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها.
- المحتوى، ويتمثل في اختيار المواد، وتوزيعه، وطبيعة الدروس والحوارات. بالإضافة للأنشطة، والإجراءات، والوسائل والخبرات.
- طرائق التدريس.
- وسائل التقويم؛ التدريبات، والاختبارات.

**أولاً: الأهداف في برامج تعليم العربية للناطقين بغيرها، في ضوء النظريات الحديثة:**

يهدف تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها، في برامج تعليمها، من خلال برنامج (العربية بين يديك)، إلى الآتي:

تمكين الدارس من الكفايات: اللغوية، والاتصالية، والثقافية

الكفاية اللغوية، وتضم: المهارات اللغوية الأربع، وهي: الاستماع (فهم المسموع)، الكلام (الحديث)، القراءة (فهم المقروء)، الكتابة (الآلية والإبداعية).

أما العناصر اللغوية الثلاثة، فهي: الأصوات (والظواهر الصوتية المختلفة)، المفردات (والتعبير السياقية والاصطلاحية)، التراكيب النحوية (مع قدر ملائم من قواعد النحو والصرف والإملاء).

وبالنظر في الموجهات التي عمل بها في هذا البرامج فيما يخص تحقيق الهدف الأول، خاصة تمكين الدارس من المهارات الأربع، نجد النص على أن تكون مهارات اللغّة متكاملة ومتوازنة مع عناصرها، بالإضافة للاهتمام بالمهارات الشفهية في المستوى الأول، وبالرجوع للمادة المعدة لذلك، نجد أن المهارات جاءت مرتبةً مبتدئةً بالاستماع، والحديث، حيث يبدأ التوجيه في الوحدة الأولى، الدرس الأول، الحوار الأول، والحوار الثاني بـ(انظر واستمع وأعد). وبحسب الإرشادات الواردة للمعلم في كتاب المعلم الأول، الوحدة الأولى، من الحوار الأول إلى الحوار السادس، مثلاً: يخاطب المعلم ليطلب من الطلاب أن استمعوا جيداً، ثم يشغل الشريط أو يؤدي الحوار مرتين، ثم يطلب منهم فتح الكتب مع الاستماع الجيد، ثم يشغل الشريط ثانية أو يؤدي الحوار مرتين، ثم يطلب منهم إغلاق الكتب، ويؤدي الحوار عبارةً عبارةً مرتين، ثم يطلب من الطلاب إعادة الجماعةً بعده في كلّ مرة. ثم يؤدي الحوار عبارةً عبارةً ويطلب من الطلاب أداءه من بعده في مجموعات، ثم يطلب من بعض الطلاب أداء عبارات الحوار بعده فردياً، ثم يختار بعض الطلاب لأداء الحوار ثنائياً.

وبناءً على تحليل التوجيهات الواردة في كتاب المعلم، وتتبع المادة المعدة للطلاب، نستنتج أهم الملامح ذات الصلة بالنظريات اللغوية والنفسية في البرنامج نخرج بالنتائج التالية:

- التركيز على مهارتي الاستماع والحديث في مدخل البرنامج.
- التكرار والتمرين والمحاكاة في عملية إجراء الحوار، لأكثر من مرة وبأكثر من طريقة.

- يؤدي الطالب دوراً إيجابياً، في عملية التعلم، بينما يقدم المعلم النماذج، كما يقوم بالتوجيه، وإدارة العمل بالصف، والمتعلم يقوم بتدريبات آلية في معظمها.

وهكذا تمضي الوحدة الأولى (التحية والتعارف)، بدروسها الستة، مركزة على مهارات الاستماع والكلام والقراءة مع مس خفيف لمهارة الكتابة. وقد نصّ المؤلفون على ذلك صراحةً، بقولهم: "يحظى الاستماع في حياة الأفراد بدورٍ مهمٍّ إلا أنّ نصيبه في برامج تعليم اللغة العربية قليل"، ويقدمون للمعلم مجموعة من المقترحات ليصل بطلابه للمستوى المنشود من التمكن من هذه المهارة". وفيما يخص مهارة الكلام يقررون أنّه ينبغي أن نجعل من تعليم الكلام أحد أهم الأهداف في تعليم اللغة العربية". وفيما يخص مهارة القراءة يشيرون إلى أنّه في المرحلة الأولى لا بدّ من أن نضع في حسابنا بعض الصعوبات المتوقعة، التي قد يواجهها الطلاب. ويشيرون كذلك أن صعوبات القراءة في هذه المرحلة ترتبط بتعلّم الأصوات خاصة في القراءة الجهرية، ومن بين الصعوبات المتوقعة في هذا المجال:

- التمييز بين الحركات الطويلة والقصيرة.

- الحروف التي ترد أحياناً صوائت، وأخرى أصوات (و + ي).

أما فيما يخص مهارة الكتابة، فيوضح المؤلفون "أنّ الكتابة عملية ذات شقين؛ أحدهما آلي، والآخر عقلي، والشق الآلي، وهو الذي بدأنا به هنا، يحتوي على المهارات الآلية الخاصة برسم حروف اللغة العربية، ومعرفة التهجئة،

والترقيم في العربية. أما الجانب العقلي فيتطلب المعرفة الجيدة والمفردات واستخدام اللغة".

بعد استعراض سير تقديم المهارات الأربع في الوحدة الأولى، بالإضافة للفلسفة المستوحاة من توجيهات المؤلفين للمدرسين، التي على ضوءها بُني البرنامج من الكتاب الأول نخرج مطمئنين، بحسب التحليل الذي قدمناه آنفاً، أن السلسلة في هذا المدخل تتبنى المنهج التكاملي بين النظريات اللغوية والنفسية، ذلك أن أسس ومبادئ النظرية السلوكية البنوية تتمظهر هذا البرنامج (العربية بين يديك) في عدد من الملامح المتمثلة في:

- التركيز على مهارتي الاستماع والكلام في مدخل البرنامج، وتأخير مهارتي القراءة والكتابة.
- السيطرة على اللغة عن طريق التدريبات النمطية المكثفة.
- عرضت المواد الدراسية في شكل حوارات، خاصة في المستوى الأول من البرنامج.
- نُظر إلى عملية تعلم اللغة باعتبارها إكساباً لعادات جديدة، ومن ثم كان الأسلوب المفضل لتقديمها هو المحاكاة والتكرار والتدريب المكثف، بطريقة فردية وجماعية، حتى يتم التعليم بوصفه عادة لا شعورية.
- صُممت التدريبات اللغوية تصميماً محكماً، حيث اعتمد في كتاب الطالب الأول، إلى حد كبير على تدريبات الأنماط

(القوالب)، وهي التدريبات التي يسيطر فيها المدرس سيطرةً تامةً على استجابة الطالب، حيث إنّ هناك طريقة واحدة للاستجابة الصحيحة... ومن التدريبات التي استخدمت في الكتاب: التكرار، والاستبدال، والتحويل، والسؤال، والجواب، والتوسعة، والاختصار.

### أما مبادئ وملامح النظرية المعرفية العقلانية فتتضح فيما يلي:

على الرغم من تشكيك تشومسكي في جدوى نظريته في تعليم اللغات الأجنبية، وكذلك مع عدم تطبيق النظريات اللغوية بطريقة مباشرة في ميدان تعليم اللغات الأجنبية، إلا أنّه يمكن التعرّف إلى بعض الملامح التي تمّ الإفادة منها من النظرية المعرفية في برنامج تعليم العربية، ويتمثل ذلك في:

- تعليم اللغة عبارة عن حلّ للمشكلات، ويتضح ذلك مثلاً في تعريف الدارس بالمشكلات الصوتية التي تواجهه في تعليم اللغة العربية، والمشاكل التي يتوقع أن تقابله مستقبلاً وتعليمه طريقة حلها، عن طريق التدريب والتكرار والمحاكاة بالإضافة لوضع الأصوات في شكل ثنائيات صغرى، حتى يتدرّب عليها، ويدرك الفروقات بينها، وهكذا، وقد أفاض البرنامج في ذلك كثيراً، وقد أشرنا لأمثلة منها في الصفحة السابقة.

- إدراكُ مصمّم البرنامج على مدى تعقيد تعليم اللغة، وخاصة اللغة العربية ذات الخصائص المميزة لها عن بقية اللغات، وتعريف الطالب بذلك، من خلال تنويع المناهج

وطرائق التدريس، وتكثيف التدريبات وتنويعها، والأخذ بأحدث الوسائل والأساليب في تعليم اللغات الأجنبية، من صورٍ وخرط، وعرضٍ للمفردات، وتوضيح معانيها بابتكار أساليب متنوعة، منها: عرض الأشياء نفسها للدارس، مثل: القلم، وتمثيل المعنى، وتقمص الدور وتمثيله، وذكر الأضداد والمترادفات، والشرح عن طريق السياق اللفظي، والاشتقاق، وحتى الترجمة في خاتمة المطاف إن دعا الأمر لذلك، ومساعدة المعلم بتقديم تعريف لبعض المفاهيم المهمة في مجال تعليم اللغة، من ذلك: تعريف بالمهارات، والعناصر اللغوية، تعريف بكفايات التعليم، التفريق بين مفهومي التعلم والاكساب، تعريف بطرائق التعليم الحديثة، وتعريف ببعض المفاهيم التربوية، مثل: إدارة الصف، حيث بلغت التوجيهات أربعاً وعشرين توجيهاً، وإعطاؤه بعض التوجيهات العامة المفيدة في عملية التدريس، بلغت في الكتاب الأول وحده خمسة وثلاثين توجيهاً، وقد بلغت مجموعة الفوائد (٦٢١) إحدى وعشرين وستمئة فائدة مباشرة دون الفوائد الخاصة بإجراء التدريبات والأنشطة الإضافية.

- المزوجة في اختيار المواد التعليمية بين الشيوع Frequency، والمنفعة Usefulness، وهذا عينه ما نصّ المؤلفون عليه في برنامجهم، حيث أشاروا إلى: "الإفادة من قوائم الألفاظ الموجودة في العالم العربي، والإفادة من قوائم التراكيب النحوية الشائعة، ووضع قوائم بالمفردات والتعبيرات الواردة في كلّ

كتاب". وجدير بالذكر أنّ هناك قوائم معدّة سلفاً للمفردات الشائعة في تعليم العربية للناطقين بغيرها في الوطن العربي، أشهرها: قائمة مكة المكرمة للمفردات الشائعة، وقائمة الخرطوم للمفردات الشائعة.

- التصميم الجيد للدروس، ومراعاة التدرّج، أما جودة التصميم في هذا البرنامج فتتضح فيما توافر له من معرفة علميّة وخبرة متميّزة من قبل الذين أشرفوا على إعداده، يظهر ذلك جلياً لمن له بصر بأمر التعليم بصورة عامة، وخبرة في تعليم اللغات الأجنبية، وتعليم العربية لغير الناطقين بها بصورة خاصة، وقد تُرجم ذلك كلّهُ في اختيار المواد التعليمية وترتيبها وتنظيمها، وتصميم الدروس في شكل وحدات دراسية منتظمة، (١٦ وحدة دراسية، ٦ دروس في كل وحدة، مجموع الدروس في كتاب الطالب الأول ٩٦ درساً).

أما فيما يخصّ التدرّج والتنوّع والتسلسل، فقد نصّت الموجهات عن ضرورة مراعاة التدرّج في عرض المادة التعليمية، ومراعاة الفروق الفردية بين الدارسين، وقد روعي في فهم المسموع، والقراءة التنوع والتدرج أيضاً، حيث جاءت التدريبات على مستوى الكلمة، والجملة، والعبارة، ومستوى الحوار، والفقرة.

## ثانياً: الكفاية الاتصاليّة: Communicative Competence

من خلال الكفاية الاتصالية، في هذا البرنامج نقف على أهم مبادئ المهارات الاتصالية، وأهم مبادئ المدخل الاتصالي، بوصفه طريقةً تدريسيةً. وسنشير إلى ذلك حديثنا عن طرائق التدريس.

### ثالثاً: الكفاية الثقافية:

فنظرة في بعض دروس وموضوعات هذه المواقف والدروس تبين بجلاء، ما ذهبنا إليه من تكامل في تدريس الكفايات الثلاثة، ويمكن أن نتبين بعضاً من هذه الموضوعات من مثل: (التحية، وأسماء الشخصيات، وأسماء الدول، والأزياء والصور، وأسماء المدن، والأدوات وآليات السفر). وقد جاءت الموضوعات الثقافية في البرنامج من ضمن الموضوعات الأكاديمية الأخرى، كما أنها جاءت متنوعةً متدرجةً.

### طرائق التدريس بالبرنامج: Methods In The Program

أما من حيث الطرائق التدريسية فقد قرّر مؤلفو البرنامج أنه ليس من بين طرائق التدريس الكثيرة طريقةً مثلى، تلائم كلّ الطلاب والبيئات والأهداف والظروف، ... وعلى المدرس أن يقوم بدراسة تلك الطرائق، والتمعن فيها، واختيار ما يناسب الموقف التعليمي، الذي يجد نفسه فيه. ومن ثم فقد ترك الاختيار للمعلم، ليختار منها ما يناسبه. ومن ثم فقد جاءت متكاملةً هي الأخرى، شأنها في ذلك شأن النظريات اللغوية، حيث نجد ملامح واضحة لأهم الطرائق التي عُرِفَت في تدريس اللغات الأجنبية، ذلك أنّ طريقة القواعد والترجمة، مثلاً، وهي من أقدم الطرائق التي عُرِفَت في تدريس اللغات تبدو



ملاحظها في هذا البرنامج جنباً إلى جنب مع أحدث الطرائق التدريسية وسنحاول تتبع مبادئ كل طريقة في هذا البرنامج على حدة.

### أولاً: طريقة القواعد الترجمة: Translation Method & Grammar

على الرغم من الدور المتعاظم الذي كانت تضطلع به طريقة القواعد والترجمة في تعليم اللغات الأجنبية ، ومع صمودها لعقود طويلة في تأدية رسالتها إلا أنّ شمسها آذنت بالغروب منذ أن ظهرت الطرائق الحديثة، لاسيما المدخل الاتصالي، ومع هذا يمكن للمرء المتتبع أن يلاحظ وجوداً لهذه الطريقة في أحدث برامج تعليم العربية للناطقين بغيرها، خاصة في تدريس الطلاب النحو والصرف، حيث الاعتماد على حفظ القواعد، والتدريب على قراءة النصوص الأدبية القديمة، والتدريبات الكتابية، ومع وجود هذه الملامح لهذه الطريقة إلا أنه، والحق يقال، لم تأت إلا في الأماكن المناسبة لمجئها، لتسدّ نقصاً تعجز عن سدّه الطرائق الأخرى، كما أنها جاءت منسجمةً متسقةً مع بقية الطرائق التدريسية، ليست نابتةً مستكرهةً، خادمةً لغرضها الذي جيء بها من أجله، من ذلك ما نصّ عليه المؤلفون في تدريس النحو والصرف في الكتاب الثالث بقولهم: "خُصص لكلّ درسٍ صفحتان؛ عُرِضَتْ في الصفحة الأولى منهما أمثلةٌ على القاعدة، يليها شرحٌ موجزٌ لها، من خلال الأمثلة، وختمت بقاعدةٍ وتلخيصٍ لهذه الظاهرة النحويّة أو الصرفيّة، وعرض في الصفحة الثانية تدريبات على تلك الظاهرة"، وقد جاء درس الميزان الصرفي، مثلاً، كما يلي: العنوان، يليه الأمثلة، يليها الشرح، تليه القاعدة، وهي، كما يلاحظ، ذات الطريقة التقليديّة التي درسنا بها في القواعد والصرف في لغتنا الأم، وجاءت التدريبات بنفس الصورة

التقليدية، زن الكلمات التالية مع ضبط الميزان بالشكل، أو هات كلمات للموازين التالية، واضبطها بالشكل.

### ثانياً : الطريقة المباشرة: The Direct Method

ما دامت فلسفة البرنامج في تقديم الدروس لا تستند إلى طريقة بعينها، فإننا نجد بعض المبادئ التي أخذت من الطريقة المباشرة، ويتجلى ذلك في الآتي:

- اهتمام البرنامج بالجانب الشفهي، والتدريبات الصوتية، وقد أشرنا لذلك فيما سبق، وهذا يلتقي مع أصحاب هذه الطريقة في أن اللغة هي الكلام لا الكتابة.
- استخدام عدة وسائل في شرح المعاني، مثل : العرض، والتمثيل، والإشارة إلى الشيء، والترادف والتضاد، والسياق، والرسم، والصور والمواد الحقيقية، وشرح المعنى باللغة بنفسها، في الصف الدراسي. ويمكن ملاحظة جميع هذه الوسائل في تدريبات البرنامج بكتبه الثلاثة. كما نبهوا عليها في التوجيهات التي خوطب بها المعلم، وقد أشرنا إلى من ذلك آنفاً. ومع هذا فقد باين البرنامج هذه الطريقة في مجموعة من مبادئها الأساسية منها: تحريمها الترجمة، وعدم تفريقها في التعليم بين اللغة الأم، واللغة الهدف، كما أنها لا تقوم على نظرية لغوية أو نفسية واضحة.

### ثالثاً: الطريقة السمعية الشفهية: The Audio-Lingual Method

معلوم أنّ الطريقة السمعية الشفوية ظلت مهيمنة على المسرح التربوي، فترةً طويلةً من الزمن، في تعليم اللغات الأجنبية، في كثير من بلاد العالم، ومازالت تستخدم حتى يومنا هذا بالرغم من التطورات الحديثة في مجال العلوم اللغوية، والنفسية والاجتماعية، ويمكن لنا أن نشير لأهم مبادئ هذه الطريقة في هذا البرنامج، ومنها:

- توجيه البرنامج اهتمامه إلى المهارات الشفهية، من استماع وكلام على مهارات اللغة المكتوبة، من قراءة وكتابة. وقد أشرنا لذلك آنفاً، ولكن البرنامج نصّ على تدريب الطالب على الكتابة الآلية، من الوحدة الأولى إلى الوحدة السابعة، حيث يتدرّب على كتابة جميع الحروف العربية مفردةً مجردةً، بالإضافة لكتابة حروف المدّ، والحركات القصيرة والشدة والتنوين، و(أل) الشمسية، و(أل) القمرية، ووصل الحروف ونسخ الكلمات، ومن ثم ينتقل بالطالب إلى الكتابة الموجهة، التي تتخذ صوراً متعددة منها: تكوين كلمات وتعابير، وكتابة كلمات تحت الصور، وترتيب كلمات لتكوين جمل، وتكملة جمل، وملء الفراغات، وإملاء مفرداتٍ مختارةٍ في الوحدات الثلاث الأخيرة. والبرنامج بتدريبه على الكتابة من المرحلة الأولى يخالف مبدأً من مبادئ الطريقة السمعية الشفهية، كشأنه دائماً في الاستفادة من جميع النظريات اللغوية والنفسية والتربوية دون التقيّد بها.

- الاهتمام بتدريبات المحاكاة والاستبدال والتكرار والاستظهار، وهذا كان جلياً واضحاً في البرنامج، خاصةً في مستواه الأول، وذلك حتى يتمكن المتعلم من السيطرة من النمط بشكل تلقائي، حتى يصبح اكتساب اللغة نوعاً من العادة والسلوك، وهذا النوع من التدريبات يعدُّ ضرورياً في تعليم اللغة الأجنبية.
- البرنامج لا يُحرّم استعمال اللغة الوسيطة ولا يرى بأساً من استخدامها إن لم يكن من ذلك بدُّ. وهذا من مبادئ هذه النظرية، على خلاف النظرية المباشرة.
- العناية بالوسائل السمعية، للاستعانة بها لنقل مظاهر اللغة بدقة، ويستعان بهذه التسجيلات، لإجراء التدريبات الشفهية المكثفة. ولذلك صاحب الكتب في هذا البرنامج تسجيل على أشرطة كاسيت، وأقراص مدمجة، وعبر الشبكة العنكبوتية.
- الدور الكبير الذي يضطلع به المدرّس حيث يقوم بعرض النماذج الصحيحة للغة، ويقوم أداء الطالب، ويصحّح أخطاءه، وهو الذي يقود التدريبات الآلية خطوةً خطوةً.

ومن أهم المبادئ الاتصالية في البرنامج ما يلي:

- أنّ البرنامج جعل من ضمن أهدافه الأساسية إكساب الدارس القدرة على الاتصال بأهل اللغة، من خلال السياق الاجتماعي المقبول، بحيث يتمكن الدارس من التفاعل مع أصحاب اللغة

مشافهةً، وكتابةً، ومن التعبير عن نفسه بصورةً ملائمةً في  
المواقف الاجتماعية المختلفة، وهذا مما يتطلب من المدارس أن  
يلمَّ بالأوضاع الثقافية والاجتماعية في اللغة العربية، بل وحتى  
في البلد الذي يدرس فيه اللغة، لأنه ثمة اختلافات ثقافية  
اجتماعية بين الدول العربية بعضها بعض، وقد عني البرنامج،  
بتوضيح المواقف الاجتماعية والثقافية المختلفة، وما يناسبها  
من عبارات، من ذلك عبارات التحية، والطلب، والاعتذار،  
والشكر، وغيرها.

- الاهتمام بالمدارس في هذا البرنامج وجعله محور العملية  
التعليمية، وتمكينه من القيام بأدوار مختلفة في عملية التعلم،  
وأن يكتفي المعلم بالتوجيه والإرشاد خاصة في المستويين الثالث،  
والرابع.

#### الوسائل السمعية والبصرية المستخدمة في البرنامج :

يشتمل البرنامج على وسائل تعليمية مختلفة؛ منها السمعي، ومنها  
البصري، بالإضافة للألعاب اللغوية، مثل: السبورة، والتسجيل، والحاسوب،  
والأقراص المدمجة، وصور لأشخاص، وأدوات، ومعدات، وعملات، عربية وأجنبية،  
وهويات سفر، وأثاث منزلي، ومكتبات، وكتب، وأقلام، وخضروات، وفاكهة،  
... وغيرها من الصور ورسومات كاريكاتورية وخرائط لبلدان، وغير ذلك، وكلها  
ملونة بألوان مختلفة زاهية. وتشكل هذه الصور والرسومات والخرائط نسبةً  
عالية من محتويات البرنامج، وتلقي عليه طابعاً ترفيهياً، يعمل على إزالة الملل

من نفوس الدارسين، بالإضافة للهدف التربوي الذي من أجله أدخلت هذه الصور والرسومات والخرائط، وهو تقريب المادة العلمية للدارس، لاسيما للناطقين بغير العربية.

وقد أُستُخدمت هذه الوسائل في تدريس جميع المستويات التعليمية في البرنامج، والأنشطة التعليمية؛ بدءاً باستغلالها في جميع مهارات اللغة: الاستماع، والكلام، والقراءة، والكتابة، بالإضافة إلى عناصرها، بالأصوات، والمفردات، والتراكيب، وقد تنوع استخدامها، كلٌّ في مكانه المناسب.

## التدريبات: Drills

معلوم أن التدريبات يتم تقسيمها عادةً إلى ثلاثة أنواع، هي:

التدريبات الآلية: Mechanical Drills ، تدريبات المعنى Meaning Full Drills

التدريبات الاتصالية Communicative Drills

التدريبات الآلية هي التي يتم فيها التحكم التام في استجابة الدارس، بحيث تكون هناك استجابة واحدة صحيحة، ومن أنواعها تدريبات الإعادة، والتكرار، وتدريبات الاستبدال، وقد أشرنا فيما سبق لورود هذه التدريبات بوصفها واحدة من أنواع كثيرة من التدريبات التي تبناها برنامج تعليم (العربية بين يديك) وذكرنا ذلك كان نتيجة لتبني البرنامج للنظرية السلوكية البنوية، والطريقة السمعية الشفهية، من بين نظريات وطرائق آخر.

أما تدريبات المعنى فهي التي لا يزال فيها نوعٌ من التحكم في استجابة الدارس، مع إمكانية أن يعبر عن اختيار الإجابة فيها بأكثر من طريقة، بالإضافة لأنها تؤدي فردياً وجماعياً، ومن أمثلتها: تدريبات السؤال والجواب، كما أنها تقوم على ركنين هما: معرفة المعنى المعجمي، ومعرفة البنية النحوية، وتكون الإجابة في هذه التدريبات من عدة مصادر، المواد المقروءة والمسموعة، أو من المواقف المحيطة بالدارس، في الصف أو خارجه.

وإذا رجعنا إلى البرنامج وجدناه يتبنى هذا النوع من التدريبات خاصة في المستوى الثاني والثالث، حيث تكونت للطالب حصيلة لغوية تمكنه من التدريب على هذه التدريبات.

أما التدريبات الاتصالية فتعمل على تمكين الدارس من التحدث باللغة الأجنبية بشكلٍ عادي، وأن تجعله قادراً على فهم ما يسمع دون خطأ، وبهذا يتحقق الاتصال بينه وبين أهل اللغة، ولا تخضع الاستجابة في تدريبات الاتصال لأي نوع من أنواع التحكم، إذ إن الدارس حرٌّ في قول ما يشاء كيف شاء... وفيه يواجه الدارس نوعاً من المشقة الماتعة، كما أن المعلم يبذل فيها جهداً أكبر من غيرها من التدريبات. كما أن تدريبات الاتصال Communicative Drills تفضي في خاتمة المطاف إلى الاتصال الحقيقي Real Communication.

## الاختبارات: Tests

هناك مواصفات علمية يجب أن تتوافر في الاختبار، كما أن خلوها من هذه المواصفات يدل على أنه ثمة خلل، يجب تلافيه، وأهمها: الثبات، والصدق، وسهولة التطبيق، والتمييز، والموضوعية.

وقد اتسمت اختبارات برنامج العربية بين يديك، بقدر كبير من هذه المواصفات والسمات، فمن حيث الثبات، فقد ثبت بالتجربة الشخصية في تدريس هذا البرنامج أنّ النتائج جاءت شبه متطابقة في حالتها الاختبار، كما أنّ الاختبارات تقيس المادة التي وضعت إليها، ويتحقق بذلك صدق الاختبار. ويجد الدارس سهولة في إجراء هذه الاختبارات ناحية العلمية والعملية، ومن حيث توافر الوسائل ومناسبتها. وتميّز اختبارات تحديد المستوى الطلاب الذين بإمكانهم دراسة المستوى المعين، من عدم ذلك. كما جاءت التوجيهات والتعليمات واضحة، بلغة سهلة مفهومة، وكانت الأسئلة على درجة عالية من الوضوح والدقة والانضباط، بالإضافة على عدد كبير من الاختبارات الموضوعية.

ويتضمن كتاب الطالب الأول ثمانية اختبارات قصيرة، بالإضافة لاختبارين موسّعين في نصف الكتاب، وآخره، ويتضمن الكتابان الثاني والثالث، بالإضافة للاختبارات القصيرة، اختبار تحديد المستوى، ويرد عادة في أول الكتاب، بقصد، معرفة مدى أهلية الطالب ومناسبته لدراسة المستوى المعين. واختبارات البرنامج، بصفة عامة، تختبر ما درسه الطالب فعلاً، ومن أهدافها تعزيز عملية التعلم، ولدفع الدارس إلى الإمام، كما أنّها قياسٌ لمدى ما تمّ استيعابه لما مضى من الكتاب.

وقد اشتمل البرنامج على جميع أنواع الاختبارات الموضوعية، مثل: الاختيار من متعدّد، والصواب والخطأ، والربط، والإضافة، وإعادة الترتيب، والتكملة، والتحويل، وبالإضافة للاختبارات الذاتية.



## النتائج:

إنّ من أهمّ النتائج التي خرجت بها هذه الدراسة، ما يلي:

- تأثرت برامج تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها، بالنظريات اللغوية والنفسية والتربوية الحديثة، وقد تجلّى ذلك في إعداد المواد التعليمية، وتنظيم محتواها، والمناهج، وطريقة تقديمها للدارسين، ووسائلها، وأساليب تقويمها. كان كل ذلك بفضل الدراسات التي أُجريت في اللغة العربية ولهجاتها على جميع مستوياتها، خاصةً من قبل الباحثين الوصفين العرب وغيرهم؛ دراسات صوتية، وصرفية ونحوية، ودلالية، ومنهم من أجرى دراسات تطبيقية، على أحدث الأجهزة، مثل: الاسبيكتروجراف (الراسم الطيفي)، واليكموجراف، وبعض الدراسات التقابلية والتحليلية. بالإضافة لشيوع علم النفس السلوكي في تلك الفترة، والإفادة منه في تعليم اللغة، بعامّة، والعربية للناطقين بغيرها، بصفة خاصة.
- أنّه لم تعدّ الهيمنة في ميدان تعليم اللغات الأجنبية لنظرية لغوية أو نفسية أو تربوية على حساب النظريات الأخرى، بل تمّت الاستعانة بها جميعاً، مع مراعاة طبيعة اللغة العربية، وبيئتها، وتاريخها.

- تمّت الاستفادة من الوسائل التعليمية الحديثة، في هذا البرنامج، مثل: الأشرطة الكاسيت، والأقراص المدمجة، والشبكة العنكبوتية، والصور والخرائط والمجسمات، وغيرها من الوسائل.
- اشتمل البرنامج على تدريبات متنوعة كما اشتمل على اختبارات عديدة منها: اختبارات قصيرة واختبارات موسعة، واختبارات لتحديد المستوى في بداية المستوى الثاني والثالث، لمعرفة مستوى الدارس من حيث التحاقه بالمستوى المعين.

#### التوصيات:

إجراء المزيد من الدراسات التطبيقية على برامج تعليم العربية للناطقين بغيرها يفضي إلى تحسين وتطوير هذه البرامج، ومن ثم فالباحث يوصي بإجراء دراسات تقييمية تحليلية، في مجالات العملية التعليمية في جوانبها المختلفة.

#### المراجع:

- جفري سامسون، اللسانيات، التسابق والتطور، ترجمة، د/ محمد كبة، جامعة الملك سعود، الرياض.

- دوجلاس براون، مبادئ تعلم وتعليم اللغة، ترجمة د. إبراهيم القعيد، ود. عيد الشمري، مكتب التربى العربي للنشر، الرياض، ١٩٩٤م.
- د.رشدي طعيمة، المهارات اللغوية، مستوياتها، تدريسها، وصعوباتها، دار الفكر العربي، القاهرة، ٢٠٠٤م.
- د.صلاح العربي، تعلم اللغات الحية وتعليمها، بين النظرية والتطبيق، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٨١م.
- د. عبد الرحمن الفوزان، وآخرون، العربية بين يديك، العربية للجميع، مؤسسة الوقف الإسلامي، الرياض، ١٤٢٤هـ، ٢٠٠٣م. كتاب الطالب، ثلاثة أجزاء، وثلاثة كتب للمعلم.
- عبد العزيز إبراهيم العصيلي، النظريات اللغوية والنفسية واللغة العربية، الرياض، مطابع تقنية للأوفست، ١٩٩٩م.
- د. علي مدكور، تقويم برامج إعداد معلمي اللغة العربية لغير الناطقين بها، منشورات الأيسسكو، الرباط، ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م.
- د.عمر الصديق عبد الله، تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها، الطرق - الأساليب - الوسائل، الدار العالمية، القاهرة، ٢٠٠٨م.
- أ.د. قاي كوك، علم اللغة التطبيقي، ترجمة د. يوسف الشميمري، ٦١ - ٧٣، جامعة الملك سعود، النشر العلمي، ١٤٢٩هـ.

- د. كمال بشر ، التفكير اللغوي اللغوي بين القديم والجديد، القاهرة، دار الثقافة، ١٩٨٥.
- محمد عبد الخالق، اختبارات اللغة، جامعة الملك سعود، ١٩٩٦م.
- د. محمود الناقة، ود. رشدي طعيمة، طرائق تدريس اللغة لغير الناطقين بها، المغرب، الرباط، ٢٠٠٣.
- د. مختار الطاهر حسين، تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها في ضوء المناهج الحديثة، الدار العالمية للتوزيع، مصر، ٢٠١١م.
- د. نايف خرما، ود. علي حجاج، اللغات الأجنبية، تعليمها، وتعلمها، عالم المعرفة، الكويت، ١٩٨٨.
- د. وليد العناتي، اللسانيات التطبيقية وتعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها، دار الجوهرة، عمان، الأردن، ٢٠٠٣م.
- هكتر هامرلي، النظرية التكاملية في تدريس اللغات ونتائجها العملية، ترجمة د. راشد الدويش، مطبعة سفير، ١٩٩٤م.

د. عبد النور محمد الماحي محمد

النظريات اللغوية في برامج تعليم العربية للناطقين بغيرها ...